فأتى أبى بن كعب رسول الله ﷺ فقصّ عليه ـ ما سمع ـ فقال : « **ذاك جبريل عليه السلام !!** » .

بمن نوثق صلتنا إذا لم نوثقها بذى الجلال والإكرام ؟ الذى انفرد بالحكم فى الأرض والسماء، وعنت له الوجوه، وما يمضى أمر إلاّ إذا أمضاه، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء . . .

إننى تساءلت عن الباعث النفسى الذى جعل أبيّا ـ رضى الله عنه ـ يذهب إلى المسجد مسابقا فى الخيرات، منافسا فى الزلفى إلى الله على النحو الذى ذكرنا ؟

وكان الجواب قريبا ! إنه صاحب الرسالة الخاتمة الذى لم يكن شىء فى الدنيا أحبّ إليه من تمجيد الله وتحميده ، أليس هو القائل « **لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أحبّ إلىّ مما طلعت عليه الشمس** »(١) .

إن الثناء على الله أزكى فى نفسه وأحلى فى مذاقه وأغلى فى قيمته من امتلاك كل شىء على وجه الأرض !!

معرفة الله بهذه الأمجاد كلها هى أساس التوكل عليه والتفويض إليه والارتباط القوى به، وهى المنبع الأول من منابع التوكل . .

ثم تجىء وعورة الطريق وطول المراحل، وكثرة الأعداء المتربصين وشعور المرء بالحاجة إلى ناصر ومؤنس، مؤنس يذهب عنه الوحشة، وناصر يعضده وهو يقاوم ويكافح . .

ومواضع التوكل كما ذكرها القرآن الكريم وسجلها التاريخ تؤكد أنه قرين جهاد صعب فما أكثر شرور البشر، وأقسى أحقادهم، وأضرارهم على المخلصين والناصحين . . .

عندما طلب أهل مدين من المؤمنين أن يرحلوا عن البلد أو يرتدوا عن الحق، كان الجواب ﴿ **قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلاّ أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شىء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** ﴾(٢) .

---

(١) مسلم والترمذى . نقلا عن الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٤٢٤ .

(٢) الأعراف : ٨٩ .